الزراعة وما ورد عنها
فى كتب العهد القديم

للدكتور ألفريد ياوز

المترجم بقسم نشر الثقافة الزراعية

كان لبنى سام الذين منهم البابليون والأشوريون والكلدانيون والسريانيون والفينيقيون والعبريون والعرب الفضل الأكبر فى رقى الفنون الزراعية ، فتدرجوا بها من طور القبائل الرحل رعاة الأغنام إلى دور الاقوام المستقرة المتعلقة بالأرض ، وإليهم يرجع الفضل فى انتشارها غربا فى أوربا وغيرها .

فالزراعة عند البابليين وسكان الشام وفلسطين وبلاد العرب قديمة ترجع إلى عهود سحيقة . يدل على ذلك ماورد عنها فى كتب الكلدانيين القدماء ، وما نقله عنهم العرب مما يؤيده ما ورد فى كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية الكلدانى ، وما يثبته أيضا ماورد عنها فى كتب العهد القديم كالتوراة والزبور ؛ فهى حافلة بالأحكام الخاصة بالزراعة ، ومن أهم هذه الأحكام مايلى :

(أولا) تلاوة صلاة شكر لله عند قطف الثمار وجنى المحصول وهطول الامطار والتضرع اليه عز وجل كلما نزلت الصواعق وأبرقت السماء وقصف الرعد لكى يقى العالم من شرورها .

(ثانيا) ترك جزء من جوانب الأرض للفقير والأرملة واليتيم عند الحصاد ليأخذوا منها حاجتهم ، وتخصيص عشر المحصول لخدم المعبد والثمار المبكرة للكهنة .

(ثالثا) إراحة الأرض سنة كاملة كل ثلاث سنوات ، محافظة على خصبها .

(رابعا) أيلولة ملكية الأرض إلى الدولة مرة كل ٤٩ سنة ، لإعادة توزيعها على الأفراد فى السنة الخمسين ، منعا لتكاثر الملكيات الكبيرة .

وقد وردت فيها أيضا بيانات جغرافية وجيولوجية وزراعية عن أرض كنعان إليك أهمها :

تقسيم البلاد إلى مناطق بحسب خصب تربتها وتركيبها الطبيعي ووسائل استصلاحها بالخدمة أو بالتسميد ، وأهمية الامطار وتوزيع الزراعات الشجرية والخضرية من فاكهة وحبوب غذائية وبقول ، بحسب فصول السنة ، وطرق

التقليم والتطعيم ، وتربية الماشية ، وتشريعات خاصة بحقوق الملاك قبل الزراع والتزاماتهم ، وأجور العمال والضرائب العقارية ، إلى غير ذلك من شئون الاقتصاد الزراعى .

أما التوراة فقد دلت على أن سيدنا موسى عليه السلام لم يكن مشرعا دينياً ومدنيا وسياسياً فحسب ، بل كان أيضاً من أساطين علماء الزراعة والاجتماع . وقد نسج أنبياء بنى اسرائيل على منواله وحذوا حذوه ، كما يستدل مما جاء على لسانهم من النصائح والحكم المشبعة بأوصاف رائعة للحياة الحقلية ، والظل والمطر والغيوم المتلبدة ، وقطرات الندى والسدى ، والريح والحشرات وأمراض النباتات وموت الماشية ..

وأسطع دليل على ذلك ماجاء فى التوراة من الأوامر والنواهى :

« إذا سمعت سمعاً لصوت الرب . . . مباركا تكون فى المدينة ، مباركا تكون فى الحقل ، مباركة تكون ثمرة بطنك، وثمرة أرضك وثمرة بستانك ، ونتاج بقرك وإناث غنمك ، مباركة تكون سلة فاكهتك . . . يباركك فى الأرض ويزيدك خيراً . . . يفتح لك السماء ليعطى أرضك المطر فى حينه . . . ولكن إذا لم تسمع لصوت الرب إلهك . . . ملعونا تكون فى المدينة . . . وفى الحقل . . . ملعونة تكون ثمرة حقلك . . . يضربك الرب بالجفاف واللفح والدبول . . . وتكون سماؤك التى فوق رأسك نحاسا والأرض التى تحتك حديداً ، ويجعل الرب مطر أرضك غباراً . . . وتكون جثتك طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض . . . تزرع كرماً ولا تستغله . يذبح ثورك أمام عينيك ولا تأكل منه . يغصب حمارك من أمام وجهك ولا يرجع اليك ، بزوراً كثيرة تخرج من الحقل وقليلا تحصد لأن الجراد سيأكلها . كروماً تغرس ولا تجنى لأن الدود يلتهمها . جميع أشجارك وثمار أرضك تتولاها الخنافس . . . فلا يبقى لك قمح ولا زيت ولا بقر ولا غنم »

(تثنية إصحاح ٢٨)

وقد شبه النبى أشعياء شعب اسرائيل الذى خالف وصايا الله بكرم انتجت عناباً رديئاً حيث قال : كان لصديقى كرم على أكمة خصبة ، فنقبه ونقى حجارته ثم انتظر أن ينتج عناباً ، فأنتج عناباً رديئاً . . . والآن احكموا بينى وبين كرمى . . . سأنزع سياجه فيصبح للرعى ، سأهدم جدرانه فيؤول للدهس . وأجعله خرابا

لايقضب ولا ينقب ، فيخرج شوكا ، وأوصى الغيم بألا يمطر عليه مطرا » (إشعياء إصحاح ٥ آيات ١ إلى ٦) .

ثم أورد وصفا للعمليات الزراعية هذا بيانه : « هل يحرث الحارث الأرض كل اليوم لمجرد تمهيدها وشقها ، أم هو يفعل ذلك ليبذر الكمون ويضع الحنطة فى الخطوط والشعير فى مكان معين ، والشعير الهندى عند حدوها . عندئذ يرشده الله إلى أن الكمون لايدرس بالنورج ، بل هو يدق بالعصا ، وأن القمح الذى يصنع منه الخبز يجب أن يدق أيضا . . . هى حكمة الرب العجيب الرأى ، العظيم الفهم . (أشعياء إصحاح ٢٨ آيات ٤ إلى ١٢)

وإليك وصفا مؤثرا للحقول بعد أن أغارت عليها أرجال الجراد « فضلة الحفار أكلها النطاط ، وفضلة النطاط أكلها الخنفساء ، وفضلة الخنفساء أكلها الجراد الطيار إذ قد صعدت إلى أراضى أمة قوية لا تحصى ولا تعد ، أنيابها كأنياب الأسد ، وأضراسها كأضراس اللبؤة . جعلت كرمتى خربة وتينتى متهشمة ، انتزعت خضرتها فابيضت فروعها . نوحى يا أرض كالعروس التى فقدت بعل صباها . . . قد تلف القمح وذبل الزيت . . . ولول الفلاحون على الحنطة والشعير ، لأن حصاد الحقل قد تلف ، ويبست الكرمة ، وذبلت التينة والرمانة والتفاحة والنخلة ؛ كل أشجار الحقل يبست فزالت البهجة عن بنى الإنسان » .

(يوئيل إصحاح ١ آيات ٤ إلى ١٢) .

وبديهى أن التوحيد هو أساس النظم الزراعية التى سادت عند بنى إسرائيل . فالأرض فى شريعتهم ملك لله وحده ، وقد منحها إياهم على سبيل الوديعة لتوزع بينهم بالعدل والقسطاس ، على ألا تتجاوز حيازتهم لها ٤٩ سنة . فبينما كانت الزراعة وسائر الأعمال اليدوية محتقرة فى نظر الشعوب القديمة ، اعتبرها بنو إسرائيل أشرف المهن قاطبة ، ولا غرو فلا يوجد بينهم نبيل وحقير ، وسيد وفقير ، إذ جميعهم عبيد الله دون تمييز بين كبير وصغير . وقد اقتصروا على مزاولة الزراعة دون سواها ، اللهم إلا بعض الصناعات الضرورية المتصلة بحياتهم اليومية ، وكثيراً ما كانوا يلجأون إلى الشعوب المجاورة ، سواء لاقتناء آلاتهم الزراعية أم لإصلاحها .

وكان أكثر أنبياء بنى إسرائيل وعلماء التلمود يفخرون بخدمة الأرض ، بل إن ملوكهم وقوادهم كانوا يستأنفون حياة الحقل بمجرد الانتهاء من الحروب ،

منتصرين أو منهزمين . فقد كان جدعون (١) يغربل القمح عند ما دعى لقيادة جيشه ، وكان شاءول (٢) عائداً من البحث عن حميره التائهة فى البادية حينما كلفه النبى صمويل(٣) بتولى العرش .

أما سيدنا داود عليه السلام ، فقد كان راعياً للغنم قبل أن يصبح ملكا يرعى شئون بنى إسرائيل .

وفيما يلى بعض الحكم الواردة فى التوراة والتلمود :

« من خدم الأرض ضاعف أكوام سنابله — جر المحراث شرف عظيم — الخجل كل الخجل فى التقاعس عن الحصاد — نوم الحارث هادىء ونوم المتكاسل مضطرب — من خاف البرد عند حرث الارض شتاء تسوّل صيفاً — من زار حقله كل يوم وجد فى كل زيارة قطعة نقود » .

هذه أمثلة تدل على مدى تعلق بنى إسرائيل بالزراعة إلى حد جعل أحد علماء التلمود يقول :

« سيأتى يوم يترك فيه جميع الناس مهنهم ليشتغلوا بالزراعة »

---

(١) أحد قضاة إسرائيل . انتصر على المديانيين والعمالقة وهدم الهيا كل المخصصة لعبادة الأصنام فى مدينة « أورفا » .

(٢) أول ملوك بنى إسرائيل ، تولى العرش من ١٠٤٠ الى ١٠٢٣ ق.م وانتصر على العمونيين والعمالقة والفلسطينيين .

(٣) نبى ، وهو آخر قضاة بنى اسرائيل . ولد فى القرن الحادى عشر ق.م وانتصر فى عدة مواقع على الفلسطينيين .

ونورد فى الجدول التالى بعض هـذه المصطلحات بالعربيـة وأمامها ما يقابلها فى العبرية لفظاً :

العربية	العبرية	العربية	العبرية
مطر	مطر	سنة ثاجمة	سنة جشومة (٤)
نجم	جيشم	ربيعة	ربيعة (٥)
نطفة أى نقطة	نيطف	ربع	رابوع (٦)
دمعة يعبوب	دمعات عاب	مطر	ربيعة (٧)
نجم ندب أى قوى	جيشاميم ندابوت	الرياح الأربع	أربع روحوت
ردم جسيم	زرميت جاشوم	شمـــال	صفون (٨)
مطر ساحف	مطر سوحيف	دروم أو جنوب	دَروم (٩)
شطف	شطف (١)	مشرق أو شرق	مزراح
ربب	ربيبيم (٢)	مغرب أو غرب	معراب
نجم حاذق	جيشم حذاق (٣)	انقشاع	شقيعه
سحر	شحر	زلزال	رعش
باكر أو مبكر	بوقر	رعد	رعم
ظهر أو ظهيرة	صهرايم	برق	برق
غزالة فى السحر	آيلت هاشاحر	ريح عابرة	روّح عوبيرت

(١) مطر قوى شاطف (٢) مطر غزير (٣) مطر قوى (٤) ممطرة (٥) مدة الشتاء أو أول الشتاء (٦) روى الأرض وأخصبها (٧) كانت الأمطار تقسم إلى خمسة أنواع بحسب فصول السنة ، وقد أطلق على كل منها اسم خاص . فسمى النوع الأول بكيرة (أى المبكرة) وهى الأمطار التى تسقط حوالى أوائل أكتوبر وسمى النوع الثانى بنونيم (أى بين بين أو الوسطى) وهى الأمطار التى تسقط فى منتصف أكتوبر وسمى النوع الثالث أفيلة (الآفلة) وهى التى تسقط فى أوائل نوفمبر ، وسمى النوع الرابع يوريه (ورهاء أى سحابة كثيرة المطر) وهى التى تسقط من منتصف نوفمبر إلى منتصف ديسمبر . وسمى النوع الأخير ملقوش (قلص الماء أى ارتفع أو زال) ، وهى المتأخرة التى تسقط فى نهاية العام أى فى موسم الحصاد حوالى شهر أبريل . وكانت هنالك صلاة خاصة تتلى لالتماس المطر (٨) ريح سافية أى هابة على وجه الأرض (٩) الريح التى تجىء وتذهب بالليل .

العربية	العبرية	العربية	العبرية
سماوات	شمايم	بين الشموس	بين هاشمشوت
رقع (١)	رقيع	نهر	نهر
يعبوب (٢)	عب	بادية	مرحبياه (٦)
سحيقة (٣)	شحق	طين	طينه
ريح ساعرة	روح سعاراه	غبار أو عفار	عفار
طل	طال	واد	عيمق (٧)
ربيع	أبيب أو ربيعة	أرض	آرص
صيف أو قيظ	قايص (٤)	أرض بكر	آرص بتولاه (٨)
حرارة شديدة	حمه (٥)	أرض بور	آرص بور
جرداء	جريد	حقل بعلى	ساديه باعل
خريف	حورف	حقل دسم (٩)	ساديه دشنه
برد	برد	أرض سمينة	آرص شامن
أرض صلف (١٠)	آرص شلف	جرن	جورن
فلاحة	عبوداه (١١)	محراث	محرشه
تنقية الحشائش	نقوى	سكين المحراث (١٤)	حيرب هامحريشه
صقل (١٢)	صيقل	فأس صغيرة	قردوم (١٥)
عزق	عزق	بهيمة	بهيمه
حرث	حروش (٢٢)	زبل (سماد بلدى)	زبل (١٦)
راع	روعيه	حنطة	حطه
زرع	زروع	شعير	سعوراه

(١) السماء السابعة (٢) السحاب . جاء فى التوراة (مكاسية شمايم بعابيم) أى كاسى السموات بالعبوب (٣) المطر الشديدة (٤) القيظ (٥) حمو (٦) الرحبة (٧) العميق (٨) بتول (٩) أى خصب (١٠) أى بور (١١) عبادة أو تعبيد ، إذ أن خدمة الأرض كانت محترمة عند بنى اسرائيل بمثابة عبادة الله (١٢) بمعنى إزالة الأحجار قبل تسوية الأرض (١٣) تحريش (١٤) أى حربة المحراث (١٥) أى قدوم (١٦) زبل

العربية	العبرية	العربية	العبرية
تفتيح (١)	فتوح	بقر	بقر
تسوية	شويه	ثور	شور
تنقية الحشائش	نكوش (٢)	حمار	حمور
دراس	دوش (٣)	أتان	أتون
منجل	ماجال	جدى	جدى
تبن	تبن	جمل	جمل
قش	قش	عجل	عجل
لقط الحبوب	لقيط		

(١) أي تفتيح الأرض عند الحرثة الأولى (٢) نكش الأرض أو نبشها (٣) دش